وجيء بخبر ( كان ) جملة مضارعية للإشارة إلى أن فسقهم كان متجددا متكررا على أن الإتيان ب ( كان ) أيضا للدلالة على الاستمرار لأن ( كان ) إذا لم يقصد بها انقضاء خبرها فيما مضى دلت على استمرار الخبر بالقرينة كقوله تعالى ( وكان ا غفورا رحيما ) .

( قل لا أقول لكم عندي خزائن ا ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ) E A لما تقضت المجادلة مع المشركين في إبطال شركهم ودحض تعاليل إنكارهم نبوءة محمد صلى ا عليه وسلم بأنهم لا يؤمنون بنبوءته إلا إذا جاء بآية على وفق هواهم وأبطلت شبهتهم بقوله ( وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ) وكان محمد صلى ا عليه وسلم ممن شمله لفظ المرسلين نقل الكلام إلى إبطال معاذيرهم فأعلمهم ا حقيقة الرسالة واقترانها بالآيات فبين لهم أن الرسول هو الذي يتحدى الأمة لأنه خليفة عن ا في تبليغ مراده من خلقه وليست الأمة هي التي تتحدى الرسول فآية صدق الرسول تجيء على وفق دعواه الرسالة فلو ادعى أنه ملك أو أنه بعث لإنقاذ الناس من أرزاء الدنيا ولإدناه خيراتها إليهم لكان من عذرهم أن يسألوه آيات تؤيد ذلك فأما والرسول مبعوث للهدى فآيته أن يكون ما جاء به هو الهدى وأن تكون معجزته هو ما قارن دعوته مما يعجز البشر عن الإتيان بمثله في زمنهم .

فقوله ( قل لا أقول لكم عندي خزائن ا ) استئناف ابتدائي انتقل به الكلام من غرض إلى غرض .

وافتتاح الكلام بالأمر بالقول للاهتمام بإبلاغه كما تقدم عند قوله تعالى ( قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب ا أو أتتكم الساعة ) .

وقد تكرر الأمر بالقول من هنا إلى قوله ( لكل نبأ مستقر ) اثنتي عشرة مرة .

والاقتصار على نفي ادعاء هذه الثلاثة المذكورة في الآية ناظر إلى ما تقدم ذكره من الآيات التي سألوها من قوله تعالى ( وقالوا لولا أنزل عليه ملك ) وقوله ( ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ) وقوله ( فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض ) الآية .

وافتتح الكلام بنفي القول ليدل على أن هذا القول لم يقترن بدعوى الرسالة فلا وجه لاقتراح تلك الأمور المنفي قولها على الرسول لأن المعجزة من شأنها أن تجيء على وفق دعوى الرسالة .

واللام في ( لكم ) لام التبليغ وهي مفيدة تقوية فعل القول عندما لا تكون حاجة لذكر المواجه بالقول كما هنا لظهور أن المواجه بالقول هم المكذبون ولذلك ورد قوله تعالى ( ولا أقول إني ملك ) مجردا عن لام التبليغ . فإذا كان الغرض ذكر المواجه بالقول فاللام

حينئذ تسمى لام تعدية فعل القول فالذي اقتضى اجتلاب هذه اللام هنا هو هذا القول بحيث لو قاله قائل لكان جديرا بلام التبليغ .

والخزائن جمع خزانة بكسر الخاء وهي البيت أو الصندوق الذي يحتوي ما تتوق إليه النفوس وما ينفع عند الشدة والحاجة . والمعنى أني ليس لي تصرف مع ا ولا أدعي أني خازن معلومات ا وأرزاقه .

و ( خزائن ا ) مستعارة لتعلق قدرة ا بالإنعام وإعطاء الخيرات النافعة للناس في الدنيا . شبهت تلك التعلقات الصلوحية والتنجيزية في حجبها عن عيون الناس وتناولهم مع نفعها إياهم بخزائن أهل اليسار والثروة التي تجمع الأموال والأحبية والخلع والطعام كما أطلق عليها ذلك في قوله تعالى ( و خزائن السماوات والأرض ) أي ما هو مودع في العوالم العليا والسفلى مما ينفع الناس وكذلك قوله ( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ) .

وتقديم المسند وهو قوله ( عندي ) للاهتمام به لما فيه من الغرابة والبشارة للمخبرين به لو كان يقوله .

وقوله ( ولا أعلم الغيب ) عطف على ( عندي خزائن ا ) فهو في حيز القول المنفي . وأعيد حرف النفي على طريقة عطف المنفيات بعضها على بعض فإن الغالب أن يعاد معها حرف النفي للتنصيص على أن تلك المتعاطفات جميعها مقصودة بالنفي بآحادها لئلا يتوهم أن المنفي مجموع الأمرين . والمعنى لا أقول أعلم الغيب أي علما مستمرا ملازما لصفة الرسالة . فأما إخباره عن بعض المغيبات فذلك عند إرادة ا إطلاعه عليه بوحي خاص كما قال تعالى ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ) وهو داخل تحت قوله ( إن أتبع إلا ما يوحى إلي ) .

A E